

روح المعاني

يسمونه بما قالوا تماديا في العناد كما هو شنشنة المكابر اللجوج ونشنة المفحم المحجوج إن ربكم إستئناف سيق لإظهار بطلان تعجبهما المذكور وما تبعه من تلك المقالة الباطلة غب الإشارة إليه بالإنكار والتعجب وحقق فيه حقية ما تعجبوا منه وصحة ما أنكروه بالتنبيه الإجمالي على بعض ما يدل عليها من شئون الخلق والتقدير وأحوال التكوين والتدبير ويرشدكم إلى معرفتها بأدنى تذكير لإعترافهم به من غير نكير كما يعرب عنه غير ما آية في الكتاب الكريم والتأكيد لمزيد الإعتناء بمضمون الجملة على ما هو الظاهر أي أن ربكم ومالك أمركم الذي تعجبون من أن يرسل إليكم رجلا منكم بالإنذار والتبشير وتعدون ما أوحى إليه من الكتاب سحرا هو ١ خلق السموات والأرض في ستة أيام أي أوقات فالمراد من اليوم معناه اللغوي وهو مطلق الوقت وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن تلك الأيام من أيام الآخرة التي يوم منها كالف سنة مما تعدون وقيل : هي مقدار ستة أيام من أيام الدنيا وهو الأنسب بالمقام لما فيه من الدلالة على المقدرة الباهرة بخلق هذه الأجرام العظيمة في مثل تلك المدة اليسيرة ولأنه تعريف لنا بما نعرفه ولا يمكن أن يراد باليوم اليوم المعروف لأنه كما قيل عبارة عن كون الشمس فوق الأرض وهو مما لا يتصور تحققه حين لا أرض ولا سماء واليوم بهذا 4 لمعنى يسمى النهار المفرد ويطلق اليوم أيضا على مجموع ذلك النهار وليلته ومقدار ذلك حينئذ ممكن الإرادة هنا أيضا وقد صرح بعض الأكابر بأن المراد بالسموات ما عدا المحدد وأن اليوم هنا عبارة عن مدة دورة تامة له ولا يخفى أن اليوم اللغوي يتناول هذا أيضا إلا أن إرادته كإرادة مقدار مجموع النهار وليلته يحتاج إلى نقل وليس ذلك أمرا معروفا عند المخاطبين ليستغني عن النقل على أن القول به يدور على كون المحدد متحركا بالحركة الوضعية ويحتاج ذلك إلى النقل أيضا وكذا يدور على كون المحدد خارجا عن السموات المخلوقة في الأيام الست لكن ذلك لا يضر إذ الآيات والأخبار شاهدة بالخروج كما لا يخفى وفي خلقها مدرجا مع القدرة التامة على إبداعها في طرفة عين إعتبار للنظار وحث لهم على التأني في الأحوال والأطوار وفيه أيضا على ما صرح به بعض المحققين دليل على الإختيار وأما تخصيص ذلك بالعدد المعين فقد قيل : إنه أمر قد إستأثر بعلم ما يستدعيه علام الغيوب جلت قدرته ودقت حكمته وقيل إنه سبحانه جعل لكل من خلق مواد السموات وصورها وربط بعضها ببعض وخلق مادة الأرض وصورتها وربط إحداها بالأخرى وقتا فلذا صارت الأوقات ستا وفيه تأمل وسيأتي إن شاء الله تعالى في الدخان تحقيق هذا المطلب على وجه ينكشف به الغبار عن بصائر الناظرين .

وإيثار جمع السموات لما هو المشهور من الإيدان بأنها أجرام مختلفة الطباع متباينة الآثار والأحكام وتقديمها على الأرض إما لأنها أعظم منها خلقاً أو لأنها جارية مجرى الفاعل والأرض جارية مجرى القابل علماً بين في موضعه وتقدير الأرض عليها في آية طه لكونها أقرب إلى الحس وأظهر عنده وسيأتي أيضاً تحقيقه هناك إن شاء الله تعالى ثم استوى على العرش على المعنى الذي أراده سبحانه وكف الكيف مشلولة وقيل : الإستواء على العرش مجاز عن الملك والسلطان متفرع عن الكناية فيمن يجوز عليه القعود على السرير يقال : إستوى فلان على سرس ويراد منه ملك وإن لم يقعد على السرير أصلاً وقيل : إن الإستواء بمعنى الإستيلاء وأرجعوه إلى صفة القدرة وأنت تعلم أن هذا وأمثاله من التشابه وللناس فيه مذاهب